رورتي وفيش) إلى مجرّد تنويع آخر على مقولة "نهاية الأيديولوجيا" المجرّبة جيداً، تنويعٌ تشرطه تضميناتٍ محافظةٍ بشكل عميق.

بالنسبة لهابرماس، نقيضاً لذلك، لايستنفد النقد نفسه عند النقطة التي يتوجّب عليه أن يسلّمَ بتورّطه الخاصّ في حوارٍ قيد الحدوث، في تقليد أو خلفية ثقافية ذات قيم معيارية قوية تسنّ جدولَ الأعمال للنقاش الراهن. مايقوم هذا الطرح بإهماله ــ في رأيه كما في رأي ادوارد سعيد ــ هو الحقيقة الساطعة بأنّ هذه القيم يمكن أن تكون متأثّرة بشكل كبير (وأحياناً عرضةً للتشويه بشكل مدمّر) بضغوطات الرقابة، وإدارة "الرأي العامّ" أو الإنحياز الأيديولوجي المفروض. اذن، وحسب تعبير هابرماس:

كلّ إجماع ينتهي ازاءه فهم المعنى يكون جوهرياً عرضةً للريبة وبالتالي لاحتمال كونه ممنتج بشكل مزيف.... طالما أنّ البنية المعيارية المسبقة للمعنى لاتضمن بالضرورة التطابق بين اجماعٍ منجزٍ وآخر حقيقي.[١٩]

باختصار، ثمة دائماً احتمال بأن تكون الطرق المكتسبة للتفكير هي نتاج اجماعٍ **مزيّف** (محدّد أيديولوجياً) يمكن الكشف عن طبيعته التعسفية، عن بؤره العمياء و مصالحه المحرّضه، عبر مقاربة تحليلية للنصوص الأصلية وأنظمة الإعتقاد الفكرية المعنية. كما رأينا سابقاً، إنّ الأعمال الأخيرة لهابرماس تنأى بعيداً عن الإدعاء "القوي" (الكانطي) بأنّ طروحات كهذه يمكن أن تجد مرجعيتها في الإقتراب المباشر من أشكال الحيازة المعرفية المميّزة، أو في أخلاقيات القيم أو المبادئ البديهية الواضحة للعقل في شكله التشريعي ــ العملي. من هنا سعيه باتجاه نظرية "الفعل التواصلي" (*communicative action*) و التي تستفيد كثيراً من تبصّرات فلسفة فعل الكلام (*speech - act*)، واللّغويات السوسيولوجية، وتحليل الخطاب، وغيرها من المناهج ذات المنحى البراغماتي في التفكير. لكن لم يكن ثمة من هاجس لدى هابرماس لتقويض الإختلاف ـ الإختلاف النقدي ـ بين التفكير البراغماتي على طريقة رورتي ـ فيش وبين مصالح "براغماتية ماورائية" تريد أن تنتقد قيم الإجماع من موقع